♦♦♦

## المحاضرة التاسعة (09): الاتجاه الوظيفي التوازني الكلاسيكي والإخفاق المدرسي.

♦♦♦

**تمهيد:**

لقد ظلّ الجدل القائم حول المدرسة يتراوح بين خطّي المحافظة والتجديد فيما يتّصل بصلتها بالمجتمع. ينطوي كلّ قطب جدلي على تباين اتجاه التأثير بين المدرسة والمجتمع.( شهاب اليحياوي، 24ماي 2014)

كما بقي الجدال قائما فيما يخص وظيفة المدرسة وعلاقتها بالأسرة من جهة، وعلاقتها بالمجتمع والنظام الاجتماعي والسياسي من جهة أخرى، وتختلف التيارات الفكرية المحافظة والتقدمية في تفسير وتحليل هذه الظاهرة.(فرج الله صورية،السنة:45)

و لقد تعرضت المدرسة إلى تحول في تحليلاتها وفي نماذجها النظرية بتعدد الآراء ووجهات النظر حول القضايا والمشكلات التربوية، فتبنى بعض الباحثين ومنهم دوركايم، Durkheim – توازني محافظ - ، بارسونز parsons – توازني محافظ - ، بورديو Bourdieu - الصراعي- التحليلات الماكروسوسيولوجية التي تحاول تفسير ما يجري داخل النظام التعليمي بوظيفته الإجمالية، وتجعل من المجتمع ونظمه العامة نقطة انطلاق متسمة بالنظرة الشمولية للمدرسة.

بينما تبنى باحثون آخرون مثل: بودونBoudon ، بيكر Becker، يونج young،..... تحليلات مرتبطة بسلوك الفاعلين، ومركّزة على عدد من القضايا والعمليات التي تجري داخل المؤسسة التعليمية سواء كانت مدرسة أو فصلا .

## المبحث الأول – الاتجاه الوظيفي التوازني الكلاسيكي:

سنتطرق إلى تمهيد للاتجاه الوظيفي التوازني الكلاسيكي بشكل عام ثم للاتجاه الوظيفي الكلاسيكي لبارسونز ودوركايم و رؤيتهما للإخفاق المدرسي.

### المطلب الأول- أسس الاتجاه الوظيفي التوازني الكلاسيكي:

بدأ الاتجاه الوظيفي في الانتشار في أوروبا وأمريكا خلال النصف الأول من القرن العشرين، ومن أشهر مفكريه دوركايمDurkheim ،وبارسونز parsons ، و ميرتونMorton "، وكان اهتمام هؤلاء منصبا على تحديد كيفية أداء

المدرسة لوظائفها المتمثلة في ضمان اندماج الأجيال واستمرار الحياة الاجتماعية.( علي السيد محمد الشخيبي، 2002: 53 - 55 )، ويتفق أصحاب الاتجاه الوظيفي على قضايا نظرية ثابتة فيما يخص **التربية** منها ما يلي:

- ينطلق التحليل الوظيفي من النظر إلى المجتمع على أنه نسق من الوظائف والأدوار التي تربطها مجموعة معقدة من التفاعلات، التي تسعى إلى استمرار النسق الكلي والحفاظ عليه، والنظام التعليمي يلعب دورا أساسيا في البناء الاجتماعي ككل، ويؤثر في جميع النظم الاجتماعية.

- تقوم التربية المدرسية بطريقة رشيدة وموضوعية بتصنيف وانتقاء أفراد المجتمع وفقا لقدراتهم وإمكاناتهم؛ وبذلك تساعد المدرسة على تحقيق المساواة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، أو على الأقل تحقيق الفرص المتكافئة أمام المجتمع.

- و التربية بما تقوم به من تصنيف وانتقاء لقدراتهم تساعد على خلق مجتمع يقوم على الجدارة والاستحقاق، كما تساعد على خلق مجتمع طبقي مرن غير مغلق، تتحدد فيه المكانة الاجتماعية للأفراد وفقا لما يملكونه من مواهب وقدرات ومعارف وخبرات تعلموها.

- التربية المدرسية أداة لإعداد الأيدي العاملة والماهرة التي تستطيع أن تقابل متطلبات التطور التكنولوجي في سوق العمل.

- هناك علاقة موجبة بين ما يتعلمه الفرد داخل المدرسة من مهارات معرفية ومستوى أدائه في العمل.

- المهارات المعرفية التي يتعلمها أفراد المجتمع في المدارس ليست لازمة فقط لتحقيق النمو الاقتصادي في المجتمعات الحديثة، بل أيضا لازمة لتحقيق التنمية السياسية والاجتماعية لما تقوم به من وظائف هامة في بناء واستمرار المجتمعات الحديثة . (شبل بدران، وحسن البلاوي، 2003: 20-23)

- المدرسة لها وظيفتان، وظيفة تطبيعية تهدف إلى التوحيد و التجانس، ووظيفة أداتيه أي توزيع الأفراد بين مختلف المكانات الاجتماعية، وإن توزيع المدرسة لأفرادها لا يمكن اعتباره عامل سيطرة طبقية، ولكنه راجع إلى أسباب مهنية ومتطلبات اقتصادية. ( Durkheim (E); 1963 ; :p 131 ، M. Duru Bellat, A. Van Zanten , 1992, p.p.64-65)

وتحت تأثير الوظيفية، تم الاهتمام بدراسة العلاقات المتبادلة بين المجتمع كبناء والتربية كنظام، والمدرسة كمؤسسة اجتماعية ترتبط بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى، وتتفاعل معها في تحديد وظائفها وتحقيق أهدافها. وعليه، تم التركيز على العلاقة بين المجتمع والتربية والتعليم والاقتصاد من أجل تكييف عناصر النظام الاجتماعي ووظائفه، حتى يستمر في البقاء والعمل في انتظام؛ فتم الربط بين التربية والبيئة الاجتماعية من خلال تعليم و تكوين وتدريب وانتقاء وتوزيع وإعداد قوى العمل اللازمة لسوق العمل، وينصب الاهتمام كذلك على رصد كل أنواع الخلل التي تعوق نظام التعليم عن تأدية وظيفته في تعليم و تكوين وتدريب الأفراد، وتصنيفهم وتشكيلهم في مكانتهم الاجتماعية التي يستحقونها طبقا لقدراتهم العقلية وإنجازاتهم الدراسية.

وانطلاقا من المقاربة الوظيفية، تم الاهتمام بمعالجة الخلل في النظام التعليمي من خلال التركيز على دراسة نظام التعليم ذاته، أو في علاقته بالنظم الفرعية الأخرى في المجتمع دون أن تشير إلى الخلل القائم في النظام الاجتماعي العام. ومن هنا يدافع هذا الاتجاه عن القيم البورجوازية والرأسمالية المحافظة. (أنتوني غدينز،2005 :85)

## المطلب الثاني- الاتجاه الوظيفي الكلاسيكي لبارسونزودوركايم والإخفاق المدرسي:

**كل من بارسونز ودوركايم** ينتصر للوظيفة المحافظة للمدرسة على اعتبار أنّها أداة المجتمع في إعادة إنتاجه وتثبيت نظامه الاجتماعي عبر التنشئة الاجتماعية، أي تكييف التلميذ مع البيئة الاجتماعية. و هو بذلك " ينشئ صلة بين الأخلاق مأخوذة في قوّة دمج اجتماعي والتربية ليبرهن على الوظيفة الاجتماعية المنوطة بالمربي".( مارسيل بوستيك، 1986: 22) الذي يتمتّع بسلطة أخلاقية تفوقه شخصيا. إنّه وسيلتها دون أن يكون صانعها.

والاتجاه الوظيفي لبارسونز ودوركايم، الذي يركز على أن عائلات الطبقات الغنية يقومون بتربية أبناءهم على قيم وسمات شخصية، تؤدي إلى التفوق والنجاح، وهذه القيم غير متوفرة عند عائلات الطبقات الفقيرة؛ مما ينتج عنه الفشل الدراسي. كما أنه يرى أن التدريج وعدم المساواة يعود إلى أنهم يؤدون أعمالهم إما بشكل جيد أو رديء، كما أن مهارتهم وكفاءتهم يجري تقويمهما وترتيبهما في درجات ومراتب،

ومن القيم الاجتماعية التي تؤكد عليها المدرسة ضمنيا القيم الفردية والأنانية والاستثمار المستقبلي، ناهيك أن نجاح التلميذ أو فشله بالمدرسة هو رهن استبطانه لهاته القيم و تمثلها. أما إذا وقع اختلال وظيفي، فلابد من عمليات

التصحيح أو المعالجة أو المواجهة. (خضر زكريا،1998 : 74 ) ويرى إيميل دروكايم "أن المدرسة ليست مسؤولة عن اللامساواة الاجتماعية والتربوية، وهي غير قادرة على التأثير في هذه المسألة وتغييرها" . (bourdieu (P) et passeron (J-C) ,1965 ;PP435 )

وتقوم هذه المقاربة حول الفشل الدراسي على فكرة الفوارق الوراثية، بمعنى أن المدرسة توحد جميع المتمدرسين في تمثل المعايير الأخلاقية والاجتماعية بغية التأقلم مع المجتمع. وفي الوقت نفسه، تفرق المدرسة بين هؤلاء تقويما وانتقاء واصطفاء .فمن يمتلك القدرات الوراثية والملكات الفطرية كالذكاء والنجابة، والقدرات التعلمية الكفائية؛- ينال النجاح المدرسي - وينتقى لتولية المناصب المتباري عليها، ولكن ليس اتكاءا على المحسوبية والأصل والنسب، بل اعتمادا على المعايير العلمية الموضوعية، والإنجازات التقويمية المضبوطة.( نيكولا تيماشيف، 1983: 91) في حين من لا يمتلك القدرات الوراثية والملكات الفطرية كالذكاء والنجابة، والقدرات التعلمية الكفائية؛ سيكون من نصيبه الفشل المدرسي.

ومن جهة أخرى، يرى إميل دوركايم أن وظيفة المؤسسة التعليمية (المدرسة) تقوم على وظيفتي الحفاظية والمحافظة، والتشديد على جدلية الماضي والحاضر. بمعنى أن المدرسة وسيلة للتطبيع وإعادة إدماج المتعلم داخل المجتمع. أي: تقوم المدرسة بتكييف المتعلم، وجعله قادرا على الاندماج في حضن المجتمع. إذن، تقوم المدرسة بوظيفة المحافظة والتطبيع والتنشئة الاجتماعية، ونقل القيم من جيل إلى آخر عبر المؤسسة التعليمية. ويعني هذا أن المدرسة وسيلة للمحافظة على الإرث اللغوي والديني والثقافي والحضاري، ووسيلة لتحقيق الانسجام والتكيف مع المجتمع. أي تحويل كائن غير اجتماعي إلى إنسان اجتماعي، يشارك في بناء العادات نفسها التي توجد لدى المجتمع؛ وهذا يؤدي إلى أن تكون المدرسة مؤسسة توحيد وانتقاء واختيار، ويعني هذا أن المدرسة تُوَحِدُ عبر التكييف الاجتماعي، ولكنها تميز بين الناس عبر الانتقاء والاصطفاء حسب مهارتهم وكفاءتهم، التي يجري تقويمهما وترتيبهما في درجات ومراتب من التفوق والنجاح والإخفاق؛ ومن ثم فالوظيفة الأولى للمدرسة تتمثل في زرع الانضباط المؤسساتي والمجتمعي. (أنتوني غدينز،2005 :101)

ويمكن في هذا الصدد ذكر بعض النظريات السوسيولوجية الحديثة للاتجاه المحافظ للإخفاق المدرسي و هي نظرية ميرتون، لأن المجال لا يتسع لتناولها جميعا، غير أنه لم يتم إيراد الاتجاه المحافظ المفسر للإخفاق المدرسي مطلقا في برنامج مقياس سوسيولوجيا الإخفاق المدرسي.